

أعلام المذهب المالكي المغاربة

من خلال "ترتيب المدارك" للقاضي عياض

(ت. 544هـ/1149م)

مقاربة كمية

الدكتور مبارك كمين

جامعة ابن زهر/كلية الآداب/أكاديس

تمهيد

لا يزال عالم علماء المذهب المالكي في الغرب الإسلامي عموماً، وفي المغرب الأقصى خصوصاً، في أمس الحاجة إلى دراسات وبحوث تميّط اللثام عن زوايا من هذا العالم، لما لأعلامه من أدوار بارزة ومتعددة في تاريخ المذهب المبكر، بهذا الصّنع من العالم الإسلامي. كما أضحت الحاجة ملحة إلى تجديد منهجي لمقاربة الموضوع، ومحاولة النفاذ إلى عمقه، بالتصدي للإجابة عن جملة من الأسئلة، ومنها: ما هو موقع المغاربة في الخريطة الجغرافية للمذهب؟ وما هي خصائص توزيعهم على مستويي الزمان والمكان؟ وما مميزات بنياتهم على مستويي الطبقات والتخصصات العلمية؟ وما هي أبرز مجالات عطائهم على صعيد خدمة المذهب؟

وللإسهام في تلمس الإجابة عن الأسئلة السابقة، اتخذنا أرضية للعمل: كتاب "ترتيب المدارك" للقاضي عياض، ومنهجاً للمعالجة: المقاربة الكمية، فما هي مشروعية هذا الاختيار؟

أولاً: مكانة المؤلف وقيمة المؤلف

أ. على مستوى مكانة المؤلف

— مكانة المؤلف تختزلها العبارة المتداولة: «لولا عياض لما ذكر المغرب»⁽¹⁾.

1 — محمد بن تاويت، تقديم "ترتيب المدارك"، ج. 1، ص. أ.

- كون عياض يمت إلى الإمام مالك بصلتين، أولاهما: صلة المذهب الذي دان به المغربي، وكان عياض من أبرز أعلامه وأشهرهم⁽¹⁾، وثانيهما: صلة القرى والانتساب إلى قبيلة حمير اليمانية⁽²⁾. ولهاتين الصلتين وقعهما القوي في دفع القاضي عياض لخدمة المذهب، وتفرغ جهده في التأريخ لأعلامه.

- تتجسد مكانة المؤلف على مستوى رحلته العلمية إلى الأندلس، التي مكنته من الاحتكاك بأعلام المذهب من أهل الأندلس، والطارئين عليها، مما أكسبه قدرة علمية على التصدي للتأليف في المذهب وأعلامه، وهذا ما نللمسه في دوافع تأليفه "ترتيب المدارك"؛ فقد اتجهت إليه أنظار أصحابه⁽³⁾، ملحة عليه، لحوض ثيج التأليف في أعلام المذهب المالكي.

ب- على مستوى قيمة المؤلف

يكتسي كتاب "ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك"، أهميته في التصدي للإجابة عن الأسئلة المطروحة سلفا، من جوانب عديدة، أهمها:

- اعتباره من أوائل الكتب المغربية، إن لم يكن أولها في موضوع التراجع، إذ هو "فن لم يتقدم فيه تأليف جامع، ولا اختص به تصنيف رائع"⁽⁴⁾ فكان موسوعة في موضوعه.

- ترجمته لأعلام المذهب المالكي في العالم الإسلامي بصفة عامة، وفي الغرب الإسلامي بصفة خاصة، ومنه المغرب الأقصى، مما يفسح المجال للمقارنة بين المغربية وغيرهم على مستويات مختلفة.

- تأريخه لأعلام المذهب المالكي خلال الفترة الوسيطة، حيث توقف عند سنة 530هـ/1136م، مما يساعد في التعرف على جوانب من التاريخ المبكر للمذهب الذي يكتشفه بعض الغموض، خاصة ما يتعلق بالمغرب الأقصى. ومن ثم فالمؤلف يسجل البدايات الأولى لتاريخ المذهب في المغرب.

- منهجية المؤلف في تقديم التراجع المغربية، فمن خلال المقارنة بين جملة من التراجع، نخرج بخلاصة مفادها أن عياضا سلك نوعا من النمطية في إنجاز معظم تراجم الأعلام؛ وفق النموذج الآتي:

2- نفسه، ص. ج.

3- نفسه.

4- نفسه، ص. 5.

5- عياض، ترتيب المدارك، ج. 1، ص. 6.

1- الاسم.	7- أخباره وطرائفه.
2- اللقب	8- محنه
3- الوطن	9- المتخرجون على يديه
4- سماعه من العلماء	10- مصنفااته
5- رحلاته العلمية	11- مولده ووفاته
6- مكائنه في العلم	12- أبناؤه وأسرته العلمية

وقد يكفي عياض بذكر اسم العلم وبلده⁽¹⁾، أو مؤلفه⁽²⁾، أو أسرته⁽³⁾. تأسيسا على مكانة المؤلف، وقيمة المؤلف، اشتغلت العديد من الدراسات والبحوث على كتاب "ترتيب المدارك"، بمناهج مختلفة، غير أن هذا المؤلف -في تقديرنا- لا يزال منجما بكرا للدراسة والبحث، شريطة التجديد على مستوى المنهج، ومن هنا جاء تبيننا للمقاربة الكمية لمدارس أعلام المذهب المغاربة، فلماذا بالضبط المقاربة الكمية؟

ثانيا: أهمية المقاربة الكمية

إن المقاربة الكمية، حسب أورفوا دومنيك D. URVOY، مقارنة بالمناهج التقليدية في معالجة كتب التراجم، لها مميزات ثلاث⁽⁴⁾:

أولا: إن الأرقام والمبيانات تعطي تدقيقا أكبر، أو على الأقل، تسمح بأخذ صورة أحسن عن التوجهات التي تشير إليها كتب التاريخ.

ثانيا: إن المنهج الكمي يسمح بتحويل الضمني إلى الصريح، بإظهار نتائج مجهولة لدى المؤرخ.

ثالثا: إن المنهج الكمي يفند، أحيانا، بعض الأحكام المسلم بها لدى المؤرخين.

إذا كانت للمقاربة الكمية هذه الإيجابيات، فإن ذلك لا يعني البتة التسليم لها بالكمال والنجاعة التامين في معالجة الموضوع، بل إنما لا تعدو أن تكون سلاحا ضمن أسلحة ترسانة

1- ترتيب المدارك: ج. 8، ص. 80.

2- نفسه، ج. 8، ص. 79.

3- نفسه، ج. 8، ص. 80.

4- محمد الشريف، ملاحظات منهجية لقراءة جديدة لكتب التراجم المغربية الأندلسية، التراث المغربي الأندلسي، جامعة عبد الملك السعدي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفحتا 514-515.

المنهج، ومن ثم فعندما نأخذ بالمنهج الكمي، فإننا نستحضر حدوده، ولا نطلب منه تقديم أكثر مما يستطيع⁽¹⁾.

1- موقع المغاربة في الخريطة الجغرافية للمذهب

1-1 موقع المغاربة بالنسبة إلى مناطق المشرق الإسلامي

المنطقة	عدد الأيام	النسبة المئوية
أهل المدينة	067	14.48
أهل مكة	003	00.65
أهل اليمن	003	00.65
أهل العراق وما وراء المشرق	118	25.48
أهل الشام	012	02.59
أهل مصر	194	41.90
أهل المغرب الأقصى	066	14.25
المجموع	463	100.00

1-2 موقع المغاربة بالنسبة إلى مناطق الغرب الإسلامي

المنطقة	عدد الأعلام	النسبة المئوية
أهل المغرب الأقصى	066	05.41
أهل إفريقية	356	29.23
أهل الأندلس	796	65.36
المجموع	1218	100.00

1-3 موقع المغاربة بالنسبة إلى مناطق العالم الإسلامي حسب الطبقات

وزع عياض أعلام المذهب المالكي، حسب الانتماء الجغرافي، على تسع مناطق، وهي: المدينة، ومكة، واليمن، والعراق وما وراءه من المشرق، والشام، ومصر، وإفريقية، والمغرب الأقصى، ثم الأندلس. ولكون دراستنا محصورة في أهل المغرب الأقصى، لا بد بداية من تعريف المغربي، وهذا التعريف له مسوغاته، فقد عرف المغرب الأقصى موجات تنقل بشري من المغرب وإليه، خلال الفترة الوسيطة؛ حيث نشط تيار الهجرة —على سبيل المثال— بين العدوتين، بعد انصهارهما في إطار الوحدة السياسية التي أنجزها المرابطون، كما نشط هذا التيار بين إفريقية والمغرب الأقصى، بفعل الاضطرابات السياسية في البلدين، ومثل هذه الإشكالات تدفع إلى طرح السؤال الآتي: من هو المغربي؟.

حاول ابن حزم تقديم إجابة مبنية على إجماع المؤرخين واتفاقهم «على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها»⁽¹⁾، وبناء على هذه القاعدة الحزمية، فإن من هاجر إلى المغرب الأقصى من سائر البلاد، فالمغرب أحق به، وهو من أهله، ويبدو أن عياضا، على العموم، لم يخرج عن هذه القاعدة، فقد عدّ أبا عمران القاسي الغفجومي (ت 430هـ/1039م) من أهل إفريقية⁽²⁾. وبالمقابل، حشر عبد العزيز السوسي (ت 476هـ/1084م)، وهو من أهل تونس، في أهل المغرب الأقصى⁽³⁾، لكون ملاذه الأخير في بلاد سوس.

وقد ركزنا في عملنا الإحصائي على التراجم الأساسية لأعلام المذهب، دون الالتفات إلى التراجم العرضية الواردة في الترجمة.

بعد هذا، يجدر بنا التساؤل عن موقع أعلام المغاربة في خريطة جغرافية المذهب المالكي. ومن خلال القراءة الأولى لمعطيات الجدولين والمبيانين فوقه، يمكن الخروج بمجملته من الاستنتاجات، منها:

أولاً: على مستوى المشرق الإسلامي

— نلاحظ تقدم مناطق على المغرب، من حيث عدد الأعلام، وهي على التوالي، حسب الأهمية، مصر، والعراق وما وراءه من المشرق ثم المدينة.

1 — رسالة في فضل الأندلس، رسائل ابن حزم، ج. 2، ص. 175.

2 — ترتيب المدارك، ج. 1، ص. 84، وج. 7، ص. 243.

3 — نفسه، ج. 8، ص. 168.

— شبه تقارب ما بين عدد أعلام المغرب وأعلام المدينة، التي تعتبر معقل المالكية، ومنطلقها الأول.

— تأخر مناطق مشرقية عن المغرب، رغم قربها من معقل المالكية، ويتعلق الأمر بمكة، واليمن، والشام.

ثانياً: على مستوى الغرب الإسلامي

— نلاحظ تأخر المغرب الأقصى عن الأندلس وإفريقية، على مستوى عدد الأعلام، ولا يخفى ما للظروف التاريخية من دور في ذلك؛ حيث سجلت المنطقتان سبقاً حضارياً على المغرب.

— رغم هذا السبق الحضاري للمنطقتين، وكذا تقدمهما على المغرب الأقصى، إلا أن لهذا الأخير دوره المعبر في انتشار المذهب وتركيزه في كلا المنطقتين؛ فعلى مستوى الأندلس، يكفي المغرب فخراً أن يحيى بن يحيى الليثي (ت234هـ/849م) كان من الرواد الأوائل لانتشار مذهب مالك بالأندلس، وهو من طنجة، من مصمودة، وانضاف إليه آخرون عبر التاريخ، وهو ما تسجله المعطيات الإحصائية عن عطاء المغاربة في الأندلس⁽¹⁾.

أما على مستوى القيروان، فثمة أسماء مغربية أسهمت في إرساء دعائم المذهب وانتشاره هناك، ونذكر، على سبيل المثال، حماد بن يحيى السجلماسي وابنه حسن⁽²⁾، إضافة إلى أبي عمران الفاسي الففجومي⁽³⁾. وهكذا، فإن تأخر موقع المغرب الأقصى عن باقي مناطق الغرب الإسلامي، من حيث أهمية عدد العلماء، يوازيه تقدم على مستوى الكيف، فماذا عن موقعه حسب الطبقات على مستوى العالم الإسلامي؟

نخلص إذن إلى أن موقع المغاربة في الخريطة الجغرافية للمذهب، يتسم بالتفاوت، ما بين تقدم وتأخر، بالنسبة لشطري العالم الإسلامي، وتبقى هذه المعطيات الإحصائية نسبية، إذا استحضرنا قصور عياض عن الإحاطة بكل الأعلام، وينضاف إلى ذلك احتمال ضياع مسودات من أصل كتاب "ترتيب المدارك". ولكن، رغم كل هذا، تبقى هذه المعطيات ذات أهمية، إذا ما تم حصرها في حدود المصدر المدروس.

1 — ينظر الجدول والمبيان ص. 14.

2 — ترتيب المدارك، ج. 1، ص. 16، وج. 4، ص. 97.

3 — نفسه، ج. 1، ص. 84.

2- التوزيع الزمني لأعلام المذهب المالكي المغربي

2-1- التوزيع الزمني لأعلام المذهب المغربي بحسب سني الوفاة

الفترة الزمنية	عدد الأعلام	النسبة المئوية
300-349	04	6.06
350-399	05	7.58
400-449	11	16.67
450-499	06	9.09
500-549	11	16.67
مجهول	29	43.93
المجموع	66	100.00

- التوزيع الزمني للأعلام المغربية حسب الطبقات

الطبقة	عدد الأعلام	نسبة الوفاة	
		أدنى	أقصى
الرابعة	3	313هـ؟	
الخامسة	2	357هـ؟	
السادسة	4	336هـ	390هـ
السابعة	6	393هـ	407هـ
الثامنة	2	413هـ	430هـ
التاسعة	15	430هـ	452هـ
العاشر	00	-	-
الحادية عشرة	15	470هـ	491هـ
الثانية عشرة	19	480هـ	530هـ
المجموع	66		

تفصي القراءة الأولية لمعطيات الجدولين والمبيانين فوقه إلى تسجيل جملة ملاحظات أبرزها:

— أن وفيات أعلام المذهب سجلت ارتفاعا خلال القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجريين، وقد يجد ذلك تفسيره الأساسي في ارتفاع عدد أعلام المذهب خلال هذه الفترة، وذلك ما تسجله الطبقات التاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة، وعند التدقيق في السنوات، نلاحظ أن معظم أعلام المذهب توفوا خلال الفترة ما بين سنتي (430-452هـ)، و(470-491هـ)، و(480-530هـ).

— انخفاض نسبة الوفيات خلال القرن الرابع، يرجع أساسا، إلى محدودية عدد أعلام المذهب، في هذا الوقت المبكر من تاريخه بالمغرب الأقصى، وذلك ما تفضي إليه الإطالة السريعة على الطبقات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة.

— غياب المعطيات حول وفيات تسعة وعشرين (29) علما، مما يجعل النتائج المتوصل إليها نسبية، فهل ستكون المعطيات المتوافرة عينة تكفي للتغطية على المجهول؟.

3-التوزيع الجغرافي لأعلام المذهب

3-1-توزيع أعلام المذهب المغاربة على مواطنهم

الموطن	عدد الأعلام	النسبة المئوية
البصرة	03	04.54
فاس	08	12.12
سبتة	45	68.18
أصيلا	01	01.52
سوس	05	07.57
لمتونة (الصحراء)	01	01.52
طنجة	01	01.52
أهل المغرب	02	03.03
المجموع	66	100.00

544هـ/1083-1149م)، ومن ثم فهو أعرف بالميدان من غيره، فقد أخذ عن بعض هؤلاء الأعلام، أو صاحبهم في الأخذ، أو أفادهم بنفسه. كما أن صدارة سبعة هذه، تجد تبريرها في موقعها الجغرافي الذي يشكل ملتقى مختلف تيارات الرحلة العلمية، العابرة من المشرق وإليه، أو من الأندلس وإليه.

كما لا يخفى دور المرابطين في صدارة سبعة هذه، بعد أن أصبح المذهب المالكي يحظى برعاية الدولة؛ بل وأصبح لفقهاء المالكية موقع نفوذ في دواليب الدولة.

ثانيا: احتلال فاس للرتبة الثانية بعد سبعة، ولكن بفارق كبير، حيث لم تتجاوز نسبة الأعلام المنتمين إليها 12.12%، وتركز نصفهم في القرن الهجري الرابع؛ أي في الطبقتين الخامسة والسادسة، بينما انتمى النصف الآخر إلى القرن الهجري الخامس؛ أي الطبقة التاسعة.

وهكذا لم يكتب لحاضرة الأدارسة أن تحصل على قصب السبق من حيث عدد الأعلام، لكون الأدارسة لم يأخذوا المسلمين بمذهب مالك، ومن ثم اعتمد انتشار المذهب في العهد الإدريسي على جهود فردية⁽¹⁾، وقد تعرض بعض هؤلاء الأعلام للمضايقة أيام حكم زناتة، مما حدا بهم إلى ترك فاس في اتجاه القيروان كما هو حال أبي عمران القاسي.

ثالثا: احتلال منطقة سوس للرتبة الثالثة، بأعلامها المعاصرين للقرن الهجري الخامس، والمنتمين للطبقتين التاسعة والحادية عشرة، ويبدو أن الفضل في ذلك يرجع إلى المدرسة الوكاكية ومؤسسها وكّاك بن زلو اللمطي (ت. 445هـ/1054م)⁽²⁾، حيث أصبحت قبلة للطلبة، بمن فيهم الآخذون من الأندلس، مثل عبد الله بن ياسين (ت. 450هـ/1058م)⁽³⁾؛ بل إن بعض القيروانيين شذوا رحالهم إلى هذا الصقع السوسي، ويتعلق الأمر بعبد العزيز التونسي (ت. 476هـ/1084م) الذي تنقل من القيروان، ثم عبر الأندلس ووطنجة وسبتة، ثم منطقة سوس⁽⁴⁾. فلا غرو إذن أن تنبأ سوس هذه الرتبة، مما أهلها لتكون إحدى الحلقات الأساسية في تأسيس الدولة المرابطية، التي ستحمل لواء المذهب.

رابعا: جاء موقع البصرة في خريطة توزيع أعلام المذهب في الرتبة الرابعة، غير أن ما يميز البصرة هو سبقها إلى احتضان أعلام المذهب، فأعلام المغرب، من الثلاثة الأوائل، ينتمون إلى

1 — المغرب عبر التاريخ، ج. 1، ص. 114.

2 — تنظر ترجمته في التشوف، صفحات 89-90.

3 — الحلل الموشية، ص. 20، ترتيب المدارك، ج. 8، صفحات 81-83.

4 — ترتيب المدارك، ج. 8، ص. 168.

البصرة⁽¹⁾، وهم أبو هارون العمري، وأحمد بن حذافة، وبشار بن بركانة، وبين هؤلاء صحبة، فقد حجوا في عام واحد، وسمعوا بالإسكندرية والقيروان في عام واحد⁽²⁾، وينتمون إلى الطبقة الرابعة التي يتدنى فيها أعلام المذهب المغاربة. وتعتبر البصرة من المدن التي أسسها الأدارسة في أواسط القرن الهجري الثالث.

خامسا: وفي الأخير، تأتي مراكز قليلة الأهمية، مثل لتونة، وأصيلا، وطنجة، بمعدل علم واحد لكل مركز.

3-4-التوزيع حسب محطات الأخذ والعطاء العلميين

3-4-1-توزيع أعلام المذهب المغاربة على مراكز الرحلة العلمية الخارجية

حسب الاستفادة والإفادة:

محطة الرحلة	عدد الأعلام المستفيدين	عدد الأعلام المفيدين	المجموع
بجاية	01	01	02
الإسكندرية	04	-	04
مكة ⁽³⁾ والمدينة	05	-	05
القيروان	09	02	11
إفريقية	02	-	02
الأندلس	14	02	16
مصر	09	-	09
قرطبة	04	02	06
مالقة	-	02	02
العراق	02	-	02
غرناطة	-	02	02
ألمرية	01	02	03
دانية	-	01	01

1- ترتيب المدارك، ج. 5، صفحا 148-149.

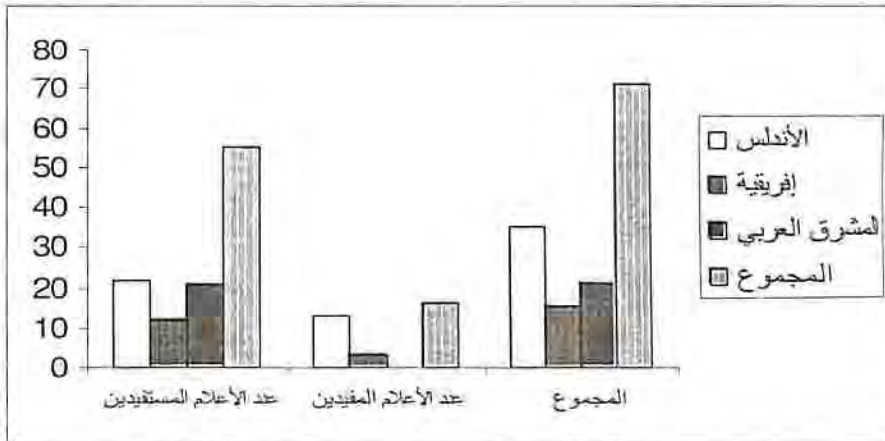
2- نفسه.

3- عدد من حج 15.

02	02	-	الجزيرة الخضراء
02	-	02	مرسية
01	-	01	سرقسطة
01	-	01	المشرق
72	16	55	المجموع

2-3-2- توزيع أعلام المذهب المغربي على جهات الرحلة العلمية الخارجية بحسب الاستفادة والإفادة

المجموع	عدد الأعلام المقيدين	عدد الأعلام المستفيدين	جهة الرحلة
35	13	22	الأندلس
15	03	12	إفريقية
21	00	21	المشرق العربي
71	16	55	المجموع



تعتبر الرحلة العلمية من أبرز سمات التعليم الإسلامي خلال الفترة الوسيطة، ومن أعلى مراحل هذا التعليم، وفيها ينتقل الراحل من مكان إلى آخر لغرض علمي، لكون الرحلة «في طلب

العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم»⁽¹⁾. وتتميز الرحلة العلمية بكونها مجالا للأخذ والعطاء العلميين؛ حيث تستوعب الطلبة والأساتذة على السواء. وقد انخرط أعلام مذهب مالك المغاربة في هذه الرحلة.

ومن خلال معطيات الجدولين والمبيانين، يمكن الوقوف على أبرز ملامح رحلات هؤلاء العلماء:

* على مستوى الامتداد الجغرافي لتيار الرحلة، نميز بين ثلاثة أنواع من الرحلة، وهي:

أولاً: الرحلة القصيرة المدى إلى الأندلس، وهي التي استوعبت معظم الراحلين، ويعتبر القاضي عياض نفسه أحد أبرز رواد هذه الرحلة، فالتقرب الجغرافي، والوحدة السياسية التي عرفتها العدوتان خلال العصر المرابطي، واعتبار الأندلس مقصد العديد من الطاقات العلمية المشرقية والمغربية، إضافة إلى التشجيع الذي حظي به المجال العلمي خلال العصر الأموي، وفترة الطوائف، كلها عوامل أسهمت في إذكاء تيار الرحلة العلمية المغربية تجاه الأندلس أخذاً وعطاءً.

ثانياً: الرحلة المتوسطة المدى إلى إفريقية، سجلت رتبة متأخرة، في تيار الرحلة المغربية الخارجية، فرغم عراققة القبروان العلمية، واحتضانها لجهاذة المذهب المالكي، فإنه يبدو أن نجمها بدأ في الخفوت أمام المنافسة العلمية الأندلسية، خاصة بعد خراب القبروان الذي كان له دور ملحوظ في تراجع هذا المعقل المالكي.

ثالثاً: الرحلة العلمية البعيدة المدى إلى المشرق، وجاءت في الرتبة الثانية بعد الأندلس من حيث اجتذاب الراحلين المغاربة، وتعددت الأغراض والدوافع التي تحكمت في تيار الرحلة المغربية إلى المشرق، ما بين الدينية والعلمية؛ حيث يعتبر أداء فريضة الحج من أهم أغراض الرحلة نحو المشرق⁽²⁾، كما أن الدافع العلمي لا يقل أهمية، فقد ظل المشرق يشكل تحدياً علمياً بالنسبة للمغرب الإسلامي، حتى ساد الاعتقاد لدى أهل المغرب بتفوق أهل المشرق عليهم، وأن عقول المشارقة "أكمل من عقول أهل المغرب، وأنهم أشد نباهة وأعظم كياساً بفطرتهم الأولى"⁽³⁾.

وتصدرت مصر المحطات العلمية المشرقية التي شكلت مقصد المغاربة، وثمة عوامل متضافرة تفسر هذه الصدارة، ومنها:

1- ابن خلدون، المقدمة، ج. 3، ص. 1255.

2- تم إحصاء خمسة عشر حاجاً (15) ضمن مجموع أعلام المذهب المغربي.

3- المقدمة، ج. 3، ص. 1022.

— أهمية مصر، والإسكندرية خاصة، كنقطة عبور بين المغرب والمشرق الإسلاميين خلال الفترة الوسيطة، كما أجمعت على ذلك بعض الدراسات⁽¹⁾.

— المكانة العلمية لمصر على مستوى المذهب المالكي، فبعد وفاة الإمام مالك، انتقلت رئاسة المذهب من الحجاز إلى مصر، فأصبحت المالكية المصرية تقود المذهب، ومن ثم شكلت مقصد المغاربة.

* على مستوى الأخذ والعطاء العلميين، يتضح من المعطيات الإحصائية، أن تيار الأخذ والاستفادة العلميين، كان أقوى من تيار العطاء والإفادة العلميين، فعلى مستوى المشرق وإفريقية عموماً، نلاحظ غياب أو شبه انعدام العطاء المغربي، ولا غرو في ذلك، مادامت هذه الفترة المبكرة من تاريخ المذهب في المغرب، فترة بناء الشخصية العلمية الفتية؛ أي أن معظم أعلام المذهب يعيشون مرحلة الاقتباس من المشرق، مما أهل بعضهم للعطاء في الغرب الإسلامي، وخاصة الأندلس كما تبرز ذلك معطيات الجدول والمبيان السابقين.

4- توزيع الأعلام حسب طبيعة المحنة

عدد أعلام المذهب المغاربة الممتحنين وطبيعة محنتهم

طبيعة المحنة	عدد الأعلام	النسبة المئوية
القتل من قبل العامة	01	07.69
القتل من قبل الحاكم	01	07.69
مطالبة الحاكم	03	23.08
الإخراج من البلدة	04	30.77
ملاحقة الفقهاء	03	23.08
نهب المال	01	07.69
المجموع	13	100.00

حرص القاضي عياض، ضمن منهجه في تناول تراجم أعلام المذهب، على ذكر محن الممتحنين، وبلايا المبتلين، من هؤلاء الأعلام، رابطاً ذلك بصلاحتهم⁽²⁾، مصداقاً لقول النبي صلى

1 — ينظر على سبيل المثال: جمال الدين الشيال، الصلات الثقافية بين المغرب والإسكندرية، صفحتا 47-48.

Gellens Sam Isaac, *Scholars and travellers...*, p. 48-49.

2 — ترتيب المدارك، ج. 1، ص. 23.

الله عليه وسلم: {أشد الناس بلاء: الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل} ⁽¹⁾. ومن خلال استحضار تراجم المغاربة في هذا الإطار، تم التوقف على ثلاثة عشر ممثنا، تباينت محنتهم كآلآي:

— على مستوى مصدر المحنة: يكون غالبا من الحكام، وقد يكون من العامة، وهو النادر؛ بل إن القاضي عياضا ⁽²⁾ نفى أن تكون العامة مصدر محنة أبي سعيد خلف بن مسعود الرعيني، كما ذهب إلى ذلك ابن حيان، مؤكدا أن مصدر محنته هو الحاكم ابن حمود.

وقد يكون مصدر المحنة زملاؤهم الفقهاء، في إطار تصفية الحسابات، كما هو حال محمد بن عبد الرحمن الكتامي بن العجوز ⁽³⁾.

— على مستوى طبيعة المحنة: قد تتخذ صورة النفي عن البلد، وهو الأغلب، كما حدث للعديد من علماء سبتة على يد سكوت البورغواطي ⁽⁴⁾.

وتتخذ المحنة صورا أخرى كتهب المال ⁽⁵⁾، أو السجن ⁽⁶⁾، وقد تصل إلى أبشع الصور وهي القتل ⁽⁷⁾.

5- بنيات أعلام المذهب المغاربة

5-1- البنية الطبقية

- البنية الطبقية لأعلام المذهب المغاربة وطبيعة الارتباط بإمام المذهب

طبيعة الارتباط بإمام المذهب	الطبقة	عدد الأعلام	النسبة المئوية
المعاصرون للإمام مالك ومن قاربت وفاته وفاته	الأولى	00	00.00
	الوسطى	00	00.00
	الصغرى	00	00.00
من لم ير الإمام مالكا ولم يسمع منه	الأولى	00	00.00

1 — رواه الطبراني في الكبير عن أخت حذيفة، وحسنه السيوطي، ينظر: الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، المجلد الأول، باب حرف الألف.

2 — ترتيب المدارك، ج. 7، ص. 111.

3 — نفسه، ج. 8، ص. 174.

4 — نفسه، ج. 8، صفحتا 85، 171.

5 — نفسه، ج. 8، ص. 208.

6 — نفسه، ج. 8، ص. 174.

7 — نفسه، ج. 7، ص. 111.

00.00	00	الثانية
00.00	00	الثالثة
04.54	03	الرابعة
03.04	02	الخامسة
06.06	04	السادسة
09.09	06	السابعة
03.04	02	الثامنة
22.72	15	التاسعة
00.00	00	العاشر
22.72	15	الحادية عشرة
28.79	19	الثانية عشرة
100.00	66	المجموع

يتضح من خلال معطيات الجدول أن القاضي عياض صنف أعلام المذهب المالكي إلى صنفين حسب طبيعة ارتباطهم بالإمام مالك، وهما:

أولاً: المعاصرون للإمام مالك (ت179هـ/796م)، ومن قاربت وفاته وفاته، وهؤلاء على ثلاث طبقات، ولا يسجل المغاربة أي حضور ضمن هذه الفئة، فالمغرب الأقصى خلال هذه الفترة يعيش بداية انتشار الإسلام، ولم يتمكن بعد من نفوس الأهالي في بعض الجهات، إضافة إلى دخول تيارات منهجية مختلفة، كاخوارج والشيعة؛ ومن ثم فلا يمكن الحديث عن إسلام راسخ وشامل لتراب المغرب، فضلاً عن الحديث عن وجود معتبر للمذهب المالكي وأعلامه، وتصادف هذه المرحلة فترة الفتوح وحكم الولاة (62-172هـ/682-789م).

ثانياً: الذين لم يروا الإمام مالك، ولم يسمعوها منه، ونلاحظ في طبقات هذه الفئة -عموماً- نوعاً من التطور الإيجابي في عدد الأعلام بتوالي الطبقات، بدءاً بغياب كامل في الطبقات الأولى والثانية والثالثة، ومروراً بظهور خافت عبر الطبقات من الرابعة حتى الثامنة، وانتهاء ببروز لا بأس به في الطبقات التاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة، مع غياب الطبقة العاشرة. وتزامن هذه المرحلة -على التوالي- مع فترات حكم الأدارسة (172-375هـ/789-986م)، وما بين عهدي الأدارسة والمرابطين منذ دخول فاس في طاعة الأمويين إلى احتلالها من قبل المرابطين، وأخيراً فترة حكم المرابطين (470-

571هـ/1078-1176م⁽¹⁾، وتطابق هذا التطور مع التحولات السياسية التي عرفها المغرب الوسيط، فمنذ البدايات الأولى لانتشار الإسلام الذي صاحبه تعدد المذاهب، إلى مرحلة تثبيت المذهب المالكي، واندحار المذاهب الأخرى في العصر المرابطي.

2-5-2-بنية التخصصات العلمية

2-5-1-بنية التخصصات العلمية لأعلام المذهب المغربي

النسبة المئوية	عدد الأعلام	التخصص
63.92	62	الفقه
02.06	02	الرأي
07.22	07	الحديث
07.22	07	الأدب
04.13	04	الشعر
02.06	02	علم الكلام
06.18	06	الزهد والتصوف
02.06	02	القراءات
02.06	02	النحو
02.06	02	اللغة
01.03	01	الأصول
100.00	97	المجموع

2-5-2-بنية الحقول العلمية لأعلام المذهب المغربي

النسبة المئوية	عدد الأعلام	الحقل العلمي
84.54	82	العلوم الشرعية
15.46	15	علوم اللسان
00.00	00	علوم الأوائل
100.00	97	المجموع

1- المغرب عبر التاريخ، ج. 1 صفحات 95 و135 و151.

يمكن دمج التخصصات العلمية التي انخرط فيها أعلام المذهب المالكي المغاربة في حقلين أساسيين، وهما حسب الأهمية:

أولاً: العلوم الشرعية

من نافلة القول التأكيد على الأهمية التي حظيت بها العلوم الشرعية في الوسط العلمي الإسلامي الوسيط عموماً، والأولية التي نالتها في البرنامج التعليمي بالغرب الإسلامي خصوصاً، فقد اعتبرها أبو الوليد الباجي «أفضل العلوم»⁽¹⁾، في حين عد ابن حزم من اشتغل بغيرها من العلوم دونها من المغفلين، لكونه «آثر الأدنى والأقل منفعة، على الأعلى والأعظم منفعة»⁽²⁾. واعتبر الفقيه الظاهري بقية العلوم مطية للتمكن من علم الشريعة، باعتبار هذا العلم مناط الفوز في الآخرة⁽³⁾. وعلى الرغم من المكانة التي تبوأها العلوم الشرعية عند أعلام المذهب المغاربة، إلا أن توزيعهم عبر فروعها يتسم بالتفاوت الكبير، ما بين تخصصات حظيت بالإقبال، وتخصصات أخرى عرفت عزوفاً من المغاربة.

أ- التخصصات البارزة

يجمدها الفقه بنسبة 63.92% من مجموع التخصصات، ولعل من عوامل ازدهار الفقه لدى المغاربة، وإقبال الطلبة على دراسته، وانخراطهم في زمرة الفقهاء، ما يكتسبه هذا التخصص من أهمية علمية وعملية؛ فعلى المستوى العلمي، يفضي التفقه في الدين بصاحبه إلى «معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب، والحظر، والتدب، والكرهية، والإباحة»⁽⁴⁾. أما على المستوى العملي، فإن دراسة الفقه واستيعابه، يفتح أمام الفقيه المتخرج سوق التوظيف في مختلف الخطط كالمشاورة، والقضاء، والحسبة، والتوثيق، ومن هنا جاءت المكانة المعتبرة لهذه الخطط في مجالات عطاء أعلام المغرب⁽⁵⁾.

وعلاوة على كل هذا، فإن الفقه متأصل في الوسط العلمي بالمغرب والأندلس، إذ كانوا أهل فقه أكثر منهم أهل حديث، وبما أن معظم أعلام المذهب المغاربة ينتمون إلى القرن الهجري الخامس، أي إلى الطبقات الأخيرة، وباستحضار الوحدة السياسية بين العدوتين خلال العصر المرابطي، ومن ثم قوة تيار الرحلة العلمية بين المغرب والأندلس، بناء على هذه الاعتبارات،

1 — جودة عبد الرحمن هلال، "وصية الباجي لولديه"، مجلة المعهد المصري، م. 1 ع. 3 ص 35.

2 — رسالة مراتب العلوم، ص. 75.

3 — نفسه، ص. 90.

4 — ابن خلدون، المقدمة، ج. 3، ص. 1045.

5 — ينظر الجدول والمبيان في ص. 23.

وغيرها، يمكن الحديث عن تشابه كبير بين أعلام المذهب المغاربة والأندلسيين، وفي هذا الإطار سجل أورفوا دومنيك⁽¹⁾ **UrvoY Dominique** صدارة الفقه بمختلف شعبه ضمن التخصصات العلمية لعلماء أندلس القرن الهجري الخامس. ومقابل التخصصات البارزة، تسجل بنية الحقول العلمية لأعلام مذهب المغاربة تخصصات باهتة.

ب- تخصصات باهتة

إذا كان الفقه يتصدر فروع العلوم الشرعية في بنية التخصصات العلمية للمغاربة، فإن بقية فروع هذا الحقل العلمي، تجد صعوبة في التوضع المتقدم داخل تلك البنية. فعلى مستوى الحديث، لا يتجاوز هذا التخصص نسبة 7.22% من مجموع التخصصات، وقد يرجع ذلك إلى أسباب عديدة، وفي مقدمتها غلبة الفقه على المغاربة أكثر من الحديث⁽²⁾. وعلى مستوى علم الكلام والأصول والرأي، تتضافر عوامل عديدة لتعليل الضعف الذي تسجله نسبة المغاربة في فروع علم الشريعة الآنف الذكر، وأبرز تلك العوامل⁽³⁾:

- رتابة الحياة العقدية والفقهية بالمغرب والأندلس فالحياة العقدية، وخلافا للمشرق، لم تعرف في الغرب الإسلامي تعددا في الملل، وتنوعا في النحل؛ حيث لم تثر ذلك الحمل الثقيل الذي أثقل كاهل المشرق، من عقائد قديمة فارسية وهندية وصينية⁽⁴⁾، وإن غياب مثل هذه التحديات العقدية، جعل عقلية المغاربة تعيش رتابة فكرية، تنعدم فيها حيوية الجدل مع الرأي المخالف، مما حال دون امتلاك الأندلسيين لنافذة علم الكلام، باعتراف ابن حزم⁽⁵⁾، إلا أن المغرب الأقصى لم يكن -على كل حال- خاليا من توجهات عقدية متباينة كالشيعة والخوارج.

ومن ناحية الحياة الفقهية، فإن السيادة المذهبية للمالكية بالمغرب والأندلس، ضيقت الخناق على التوجهات الفقهية المخالفة، مما حرم المنطقة من بعض التقاليد العلمية التي ازدهرت بها مجالس العلم بالمشرق، ومنها المناظرات التي تعقد بين أرباب المذاهب المختلفة، ومن خلالها انبثق علم الخلافات⁽⁶⁾.

(1) *Le monde des Ulémas Andalous...*, p. 38.

2- سعيد أعراب، "صحيح البخاري بالغرب الإسلامي"، مجلة دعوة الحق، السنة 17، ع. 1، ص. 80.

3- مبارك لمين، الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق خلال القرن الهجري الخامس، ص. 134 فما بعد.

4- أحمد أمين، ظهير الإسلام، ج. 3، ص. 10.

5- رسالة في فضل الأندلس، رسائل ابن حزم، ج. 2، ص. 186.

5- عن موضوع هذا العلم وتعريفه، ينظر ابن خلدون: المقدمة، ج. 3، صفحات 1066-1067.

— طبيعة المذهب المالكي ومالكية المغرب: إن القصور المغربي في بعض العلوم الشرعية كالاخلاف، لا يرجع فحسب إلى غياب تعدد مذهبي متجذر وقوي بالمغرب، وإنما أيضا إلى طبيعة المذهب المالكي، وفي هذا الإطار يسجل ابن خلدون⁽¹⁾ ضعف تأليف المالكية في الخلاف، لكون الأثر «أكثر معتمدتهم وليسوا بأهل نظر»⁽²⁾، خلافا للشافعية والحنفية.

وإلى جانب غلبة الأثر (النقل) على المذهب المالكي، تأتي الممارسة المغربية في إطار هذا المذهب، لتفسير جوانب من الضعف المسجل في الأصول، فرواد المالكية في الأندلس والمغرب، لم يشاركوا صاحب "الموطأ" في تعلقه بالسنة وبأصول الشريعة، وذلك بانغماسهم في التفريعات الفقهية، وهذا ما جعل عبد المجيد تركي⁽³⁾ يعتبر المذهب المالكي الأندلسي مذهبا قضائيا بالأساس، وثيق الارتباط بالمصنفات المالكية في المسائل، والنوازل، والفتاوى، والوثائق، منذ دخول المذهب إلى الأندلس.

أما على مستوى الزهد والتصوف، فينتهي معظم الزهاد والمتصوفة إلى القرن الهجري الخامس، أي الطبقة التاسعة وما بعدها، كما أن أغلبهم من الزهاد، باستثناء اثنين متصوفين، وهما عبد العزيز السوسي الذي اعتبره عياض⁽⁴⁾ من أهل العلم الظاهر والباطن، وعبد الرحمن بن محمد بن الخطيب (ت. 502هـ/1109م) الذي لم يكن بالقوي في الفقه⁽⁵⁾، مما يوحي بغلبة علم التصوف عليه، وقد عاصر هؤلاء الزهاد والمتصوفة العصر المرابطي، الذي يمتاز بظهور أقطاب التصوف الأوانل بالمغرب.

ثانيا: علوم اللسان

تسجل نسبة المتخصصين في علوم اللسان⁽⁶⁾ أهمية معتبرة في بنية التخصصات العلمية لأعلام المذهب المغربي، بعد العلوم الشرعية، لكونها آليات ضرورية لاستيعاب مختلف العلوم. وإذا كان من المفترض أن يكون معظم الأعلام ملمين بهذه العلوم، إلا أنه يبدو أن عياضا ركز على من نبغ منهم في هذا الحقل العلمي، مما جعل نسبتهم محدودة ضمن مجموع الأعلام.

ثالثا: علوم الأوائل

6 — — نفسه، ص. 1067.

7 — نفسه.

1 — — مناظرات في أصول الشريعة بين الباجي وابن حزم، ص. 18.

2 — — ترتيب المدارك، ج. 8، ص. 168.

3 — — نفسه، ج. 8، ص. 198.

4 — — حسب التصنيف الخلدوني للعلوم، فإن علوم اللسان العربي لها أركان، منها: اللغة، والنحو، والأدب، بمنشوره ومنظومه. المقدمة.

ج. 3، ص. 1264 وما بعدها.

في إطار التصنيف الخلدوني للعلوم، فإن علوم الأوائل تسمى أيضا العلوم العقلية، أو علوم الفلسفة والحكمة⁽¹⁾. وتسجل غيابا كاملا في بنية التخصصات العلمية لأعلام المذهب المغاربة. وهذه الظاهرة جذورها التاريخية المتمثلة في العلاقة الوثيقة بين الفلسفة وتلك العلوم، فالطب والتنجيم، كالتطبيقات والإلهيات، من فروع الفلسفة، ومن هنا برزت معارضة معظم الفقهاء لهذه العلوم، وخاصة الفلسفة والتنجيم؛ بل إن العامة انخرطت في مناهضة هذه العلوم في الأندلس، حيث تعرض أصحابها للحصار من قبل العامة التي قيدت عليهم أنفاسهم، وألصقت بهم تهمة الزندقة⁽²⁾.

ولم تنحصر المعارضة لهذه العلوم وأربابها على الفقهاء والعامة، بل امتدت لتشمل الحكام، وخاصة في عهد الحجابة العامرية، التي امتد نفوذها السياسي إلى المغرب خلال فترات تاريخية. ولأنه لم يحارب المرابطون هذه العلوم إلى حد التنكيل بأصحابها وقتلهم، إلا أن الفقهاء حظوا أكثر من غيرهم بالعناية في البلاط المرابطي. وقد قسم ابن حزم⁽³⁾ أهل عصره -حسب مواقفهم من علوم الأوائل- إلى أربعة أقسام. ويرجح هذا التقسيم الحزبي الكفة لصالح جبهة الرافضين لتلك العلوم. ومن كل ما سبق يجد الغياب التام للمنتسبين لهذا الحقل العلمي من أعلام المغرب المالكية بعض تفسيره.

نخلص إذن إلى أن بنية التخصصات العلمية لأعلام المذهب المغاربة اتسمت بانعدام التوازن، ما بين تخصص حظي بالإقبال، وهو الفقه، وكذا علوم اللسان، وتخصصات عرفت عزوفا مغربيا كما هو حال معظم فروع الشريعة، وتخصصات ضرب عليها المغاربة صفحا، كما هو شأن علوم الأوائل، وتحكمت في إفراز هذه البنية مجموعة من العوامل المتداخلة.

1 - المقدمة، ج. 3، ص. 1119 فما بعد.

1 - نفح الطيب، ج. 1، ص. 208.

2 - رسالة التقريب لحد المنطق، رسائل ابن حزم، ج. 4، صفحات 98-100.

3-5-بنية مجالات العطاء

مجالات عطاء أعلام المذهب المغربي

النسبة المنوية	عدد الأعلام	مجال العطاء
15.70	19	القضاء
31.40	38	التدريس
05.78	07	الخطابة والصلاة
11.58	14	المشاورة
01.65	02	كتابة القضاء
02.48	03	قضاء الجماعة
04.96	06	التأليف
15.70	19	الفتيا
01.65	02	عقد الوثائق
03.30	04	الجهاد في الثغور
04.14	05	التجارة
00.82	01	خطة الشرطة العليا
00.82	01	الفلاحة
100.00	121	المجموع

يتضح من خلال المعطيات الإحصائية للجدول والمبيان فوقه أن أعلام المذهب المغربي أسهموا بعطائهم في مجالات مختلفة يمكن تصنيفها، حسب أهميتها العددية، كالتالي:

أولاً: مجال التعليم: شكل التعليم المجال الرحب، الذي استوعب معظم الأعلام، ولا غرو في ذلك، فإن طبيعة تكوينهم، وتخصصاتهم، تؤهلهم للانخراط في مجال التعليم أكثر من غيره.

ثانياً: مجال القضاء وارتباطاته: يأتي القضاء، والخطط المرتبطة به كالمشاورة، وكتابة القضاء، وعقد الوثائق، في الرتبة الثانية بعد التعليم، من حيث استقطاب أعلام المذهب، وتجدر هذه الظاهرة تفسيرها في أسباب عديدة، أبرزها:

— طبيعة التكوين الذي يغلب عليه الطابع الفقهي، كما تبرزه بنية التخصصات العلمية لأعلام المذهب، فدراسة الفقه واستيعابه، يفتح أمام الفقيه سوق التوظيف في مختلف الخطط، كالمشاورة، والقضاء، والتوثيق.

— كون خطة القضاء تستقطب الكفاءات العلمية عند التعيين، ومن ثم فلا مفر للحكام من اختيار أعلام المذهب البارزين، وقد يكره العالم على تولي هذا المنصب، مما يفسر الشكاوى المتتالية من بعضهم للاستغفاء من المنصب⁽¹⁾.

ثالثا: المجال العلمي: ويندرج ضمنه التأليف والفتيا، وهذه الأخيرة تأتي في المقدمة بموازاة مع القضاء، وهما مجالان يكثر عليهما الطلب، فتعقيدات الحياة الاجتماعية والاقتصادية، إضافة إلى العبادات، تحتاج إلى بث الفقيه فيها بالفتوى، أو إلى حكم القاضي لفض النزاع. وقد بذ بعض المفتين أقرانهم في مجال الفتيا حتى ضرب بهم المثل، فكان يقال في حق عبد الله بن الزويدي: "لا أفعل كذا ولو أفتاك به ابن الزويدي"⁽²⁾، كما يضرب المثل بفتيا لمتاد بن بلين اللمتوني في بلاد الصحراء⁽³⁾.

أما التأليف، فتبدو مشاركة المغاربة فيه محدودة، وتركز معظم الإنتاج التألفي في القرن المجري الخامس، أي في الطبقات الأخيرة، مما ينم عن بداية العطاء المغربي في التأليف، وترجم المواضيع المطروقة في التأليف هذه البداية المحشمة؛ حيث تراوحت ما بين المختصرات كاختصار المدونة⁽⁴⁾، ومختصر ابن أبي زمنين⁽⁵⁾، أو التأليف في الفقه المالكي، مثل "كتاب في المناسك" لقاسم الرعيني⁽⁶⁾، وهناك من لهم تعاليق على المدونة⁽⁷⁾.

رابعا: عزوف علماء المذهب عن المناصب السياسية، حيث لم تسجل سوى مشاركة واحدة في التخطيط بالشرطة العليا.

خامسا: نشاط فئة محدودة من العلماء في القطاعات الاقتصادية، وخاصة التجارة، ثم الفلاحة. سادسا: مشاركة بعض العلماء في المراقبة بالغور، وخاصة الأندلسية، مما ينم عن استسعارهم خطورة المد الصليبي في غرب العالم الإسلامي خلال القرن المجري الخامس/ الحادي عشر الميلادي.

1- ترتيب المدارك، ج. 8، ص. 199.

2- نفسه، ج. 7، ص. 110.

3- نفسه، ج. 8، ص. 80.

4- نفسه، ج. 8، ص. 207.

5- نفسه، ج. 8، صفحتا 203-204.

6- نفسه، ج. 8، ص. 86.

7- نفسه، ج. 8، صفحات 72، 78، 180.

خلاصة واستنتاجات

تبعنا خلال هذا العرض، واقع عالم علماء المذهب المالكي المغاربة من خلال "ترتيب المدارك" للقاضي عياض، بدءا بموقع المغاربة في الخريطة الجغرافية للمذهب، ومرورا بتوزيعهم عبر الزمان والمكان، وانتهاء ببناءهم على مستويات الطبقة والتخصص العلمي ومجال العطاء، فما هي الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها؟

أولا: موقع المغاربة في الخريطة الجغرافية للمذهب، يتسم بالتفاوت العددي ما بين تأخر وتقدم، حسب الطبقات، بالنسبة للشطر الشرقي من العالم الإسلامي، فإذا كانت المدينة المنورة معقل المالكية ومنطلقها، فإن المغرب الأقصى استطاع اللحاق بها، بل وتجاوزها كما تجاوز مكة والشام.

ثانيا: تأخر المغرب الأقصى عن الأندلس وإفريقية، على مستوى عدد الأعلام، غير أن لأعلام المذهب المغاربة إسهاما قويا في انتشار المذهب، وترسيخه بماتين المنطقتين من الغرب الإسلامي.

ثالثا: معاصرة معظم أعلام المذهب المغاربة للقرن الهجري الخامس، وقد قام المرابطون بدور أساسي في هذا الحضور.

رابعا: احتكار سبعة لمعظم أعلام المذهب بنسبة 68.18% من مجموع الأعلام، متبوعة بفاس، ثم منطقة سوس، فالبصرة، وتضافرت مجموعة من العوامل في رسم هذه الخريطة، ما بين التاريخية، وما له علاقة بالقاضي عياض.

خامسا: اتجاه الرحلة العلمية المغربية نحو الأندلس بالدرجة الأولى على مستويي الأخذ والعطاء العلميين، ثم المشرق، إفريقية، على مستوى الأخذ، مع شبه انعدام للعطاء العلمي بمما، مع ملاحظة قوة جانب الاستفادة والأخذ في رحلة المغاربة على جانب الإفادة والعطاء.

سادسا: تعرض أعلام المذهب لحن متباينة المصدر، ومختلفة الشكل.

سابعا: هيمنة العلوم الشرعية على تخصصات أعلام المذهب، مع غياب التوازن في شعب هذا الحقل العلمي، ما بين بروز قوي للفقه، ووجود ضعيف لباقي التخصصات. كما نلاحظ غيابا تاما للمتخصصين في علوم الأوائل.

ثامنا: تنوع مجالات عطاء أعلام المذهب، حيث يتقدمها التعليم، ثم القضاء وما يرتبط به من خطط، فالفتيا مع ضعف مجال التأليف، ومحدودية الانخراط في القطاعات الاقتصادية.

تاسعا: غياب معطيات إحصائية شاملة، تجعل بعض النتائج المتوصل إليها نسبية، فهل تكون المعطيات المتوافرة شاهدا صادقا عن المعطيات الغائبة؟

المصادر والمراجع

أولاً: بالعربية

- 1) ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي.
- الجزء الأول، تحقيق: محمد بن تاويت، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1324هـ/1965م.
- الأجزاء 2 و3 و4، تحقيق: عبد القادر الصحراري، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ما بين 1386-1390هـ/1970م.
- الجزء الخامس، تحقيق: محمد بن شريفة، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، بدون تاريخ.
- الأجزاء 6 و7 و8، تحقيق سعيد أعراب، نشر وزارة الأوقاف، الرباط، ما بين 1401-1403هـ/1980-1983م.
- 2) الخلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف مجهول، تحقيق: سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، الطبعة الأولى 1389هـ/1979م.
- 3) الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق خلال القرن المجري الخامس، لمبارك لبن، أطروحة دكتوراه مرقونة، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2002.
- 4) رسالة في فضل الأندلس وذكر رجائها، لأبي محمد علي بن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1981.
- 5) رسالة التقريب لحد المنطق، لأبي محمد علي بن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، الجزء 4، تحقيق إحسان عباس، ط. 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981.
- 6) "صحيح البخاري بالغرب الإسلامي"، لسعيد أعراب، مجلة دعوة الحق، العدد 1، السنة 17، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1975.
- 7) "العلاقات الثقافية بين المغرب والإسكندرية"، لجمال الدين الشبال، مجلة دعوة الحق، السنة 4، العدد 1، الرباط، 1380هـ/1960م.
- 8) ظهر الإسلام، لأحمد أمين، الجزء الثالث من أصل ثلاثة أجزاء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. 5، (د.ت.).
- 9) المغرب عبر التاريخ، لإبراهيم حركات، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، 1420هـ/2000م.
- 10) المقدمة، لعبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وإي، الجزء الثالث، دار فمضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1981م.
- 11) ملاحظات منهجية لقراءة جديدة لكاتب التراجم المغربية-الأندلسية: قراءة في كتاب "عالم علماء الأندلس" لدومنيك أورفوا، لمحمد الشريف، التراث المغربي الأندلسي: التوثيق والقراءة، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب، تطوان، مطبعة النجاح، البيضاء، 1991.
- 12) مناقرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، لعبد المجيد تركي، ترجمة وتعليق: عبد الصبور شاهين، مراجعة: محمد عبد الحليم محمود، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ/1986م.
- 13) "وصية الشيخ الفقيه الإمام الحافظ أبي الوليد الباجي لولديه، لأبي الوليد الباجي"، تحقيق: جودة عبد الرحمن هلال، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد 1، العدد 3، 1374هـ/1955م.

ثانياً: بغير العربية

14) Gellens, Sam Isaac

Scholars and travellers: *The Social History of Early Muslim, Egypt*, unpublished Ph. D. Thesis, Columbia University, 1986.

15) Urvoy, Dominique

Le monde des Ulémas andalous du V/XI^e au VII/XIII^e siècles, Librairie Droz, Genève, 1978.